ديمقراطية إسلامية لا جاهلية

المقدمة..

مؤثرات موسيقية...

أصوات طائرات محلقة وطلقات مدفعية يتخللها رصاص.. تعقبها ضحكات خالد تنخفض شيئا فشيئاً..

خالد: " منطلقاً مع فرحته " أهلا بك يا جدي.

الشيخ: هيه.. ما الذي يزهوك يا بني؟ هل تغيرت الدنيا. عهدي بك أكثر إخلاداً إلى الهدوء والرصانة.

خالد: هنئني يا جدي.. هنئني..

الشيخ: اهدأ قليلا يا بني.. لقد كاد الدوار أن يأخذني وأنت تدور من حولي.

خالد: لقد نجحت.

الشيخ: ما هذا اللغز.. علام أهنّئك؟ وما الذي نجحت فيه؟

خالد: قررت القيادة ترقيتي ونقلي إلى معسكر جديد بعد أن خرجت الأول من الامتحان الدوري.

الشيخ: حسن.. حسن يا خالد.. إن رأيي لم يضع فيك. ولكن في هذه الترقية أبعاداً لك عنا.

خالد: هم.. أما هذا فلا.. سأعود إليك عند مطلع كل أسبوع فأنا في حاجة ماسة للاستماع إلى نصحك وتوجيهاتك.. أتعلم يا جدي أن تطوراً ملموساً قد أخذ يزداد ظهوراً في كل مرة أصدر فيها عنك وفي جعبتي زاد جديد من عندك؟!..

الشيخ: الحمد لله يا بني.

خالد: بالمناسبة يا جدي.. هل لك أن تفصل في مشكلة عرضت لنا جميعا حين كنت أتحدث عن رأيك في ديمقراطية الأغراب والدعاوي التي جاءتنا معها؟

الشيخ: وما هي هذه المشكلة؟ لقد كنت أظن أنني سأحدثك في هذه المرة عن خصائص الديمقراطية الإسلامية.

خالد: بل المشكلة التي أحملها معي أولاً.

الشيخ: وما هي يا بني؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

خالد: كنا نتجاذب أطراف الحديث والكل مشدود إلى موضوع الديمقراطية التي أثرته معك في اللقاء السابق حين انبرى أحدنا يقول: الحق أن أصالة الديمقراطية الإسلامية نابعة ما قبل الإسلام. من طبيعة العقلية العربية في جاهليتها الأولى. فقد أصبح في حكم الخبر المتواتر أن العربي في الجاهلية كان متميزاً بالعزة والخيلاء متعلقاً بحريته.

الشيخ: أهذا ما قيل أمامك وأمام إخوانك؟

خالد: نعم يا جدي. وقد كدنا جميعاً أن نميل إلى رأيه لما نعرفه من تعلق الجاهلي بحريته وتميزه بالعزة والخيلاء.

الشيخ: هذا غير صحيح يا بني.. ومن قال لكم أن الحرية الديمقراطية كما أتى بها الإسلام هي عزة الجاهلي وخيلائه؟

خالد: وما هي يا جدي إذن؟

الشيخ: لقد كانت حرية الجاهلية يا بني كحرية الطائر في الجو والحيوانات في الغابة. إنها هدية نابعة من طبيعة الأمر الواقع لا تصدر عن إيمان مسبق بمبادىء فكرية معينة بل تصدر عن قلة المنازعة عليها. إنها لم تكن حقاً من الحقوق يكافح عنها الجاهلي بل مال ضائع لا مالك له مباح لقلة الراغبين فيه وغيبة المنتفعين بالعدوان عليه.

خالد: إنك يا جدي تقول لي شيئاً جديداً وغريباً في الوقت نفسه.

الشيخ: قد يكون جديداً عليك. ولكنه مألوف في منطق التاريخ لا غرابة فيه ولا عجب. لقد عرفت جاهلية ما قبل الإسلام ضروباً من الطغيان وأشكالاً من الحكم المستبد يعيش فيها الحاكم عزته بقدرته على إذلال غيره.

خالد: أفصح يا جدي. فالأمر هام جداً بالنسبة لنا.

الشيخ: يا خالد إن ديوان عرب الجاهلية حافل بأبناء العزة الحمقاء.

خالد: مثل ماذا؟

الشيخ: هل سمعت بالمثل القائل: " أعز من كليب وائل "؟. أو بالمثل الذي يقول: "لا حر بوادي عوف "..؟

خالد: وماذا يعني هذان المثلان؟

الشيخ: أنهما يعنيان أن الأرض التي كان يسمع فيها عواء كلب كليب أو التي ترعى فيها إبله هي حمى لا يقربه أحد أو يأتيه الموت في سهم من سهام أتباعه الخاضعين له؟ وأن وادي عوف لم يكن يعترف بحرية أحد فيه غير حرية عوف.

خالد: وهل كان الأمر كذلك في كل أرض الجاهلية؟

الشيخ: أجل يا بني إلا إذا لم يكن لقوي مطمع في جزء منها.

خالد: هذه ظاهرة تدعو إلى النظر.

الشيخ: الحرية يا بني وحدة لا تتجزأ. إن المجتمع الذي يجعل من سنّة الغزو مقياساً للعدل عنده هو نفسه الذي وأد البنات وجعل الضعفاء عبيد العصا. بل هو نفسه الذي خلق يوم البؤس ويوم النعم عند المنذر بن ماء السماء.

خالد: ما يزال الغموض يكتنف مفهوم هذه الحرية يا جدي.

الشيخ: لأحدثك حديث عبيد العصا ويومي المنذر بن ماء السماء يا خالد. لقد كان ذلك قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام بأكثر من مئة عام. في وقت كان فيه بنو أسد خاضعين لحكم الملوك من كندة. وفي عهد أحد هؤلاء الملوك حجر بن الحارث تعاقبت أحداث جديرة بالتأمل والتفكير..

نقلة موسيقية.....

صرخات احتجاج.....

صوت: اذهبوا إلى ملككم وتولوا له: إن بني أسد لن يدفعوا له الأتادة بعد اليوم. وقولوا له أيضا: إن الجراح التي أحدثناها في جسومكم هي جوابنا على عدوانه وتجبره واستخفافه.

نقلة موسيقية....

قعقعة سلاح.. صهيل خيل..

الملك حجر: لا.. لا تقتلوهم بالسيف.. إنهم أذل من أن يموتوا بسلاح الفرسان. اضربوهم بالعصا.. وما تزالون تضربونهم حتى الموت.

الجندي: أجل أبيت اللعن سنقتلهم بالعصا.

يرتفع صوت الضربات الشديدة وترافقه آهات المعذبين.

الملك: استبيحوا أجيادهم وخذوا أموالهم واعتقلوا سراتهم ورؤسائهم وقولوا لهم: هذا جزاء من يتمرد على جباة حجر ورسله.

يعود الضرب مرة أخرى.....

الجندي: لم يبق أحد منهم أيها الملك. لقد أصبحوا بين قتيل وشريد أما نساؤهم فهم سباياك وملك يمينك.

الملك: وأين عبيد بن الأبرص شاعرهم؟

الجندي: لست أدري أبيت اللعن.

الملك: ائتوني به.

نقلة موسيقية.....

حجر: " مقهقها ".. أهذا أنت يا عبيد؟!

عبيد: نعم أبيت اللعن. عبدك وابن عبدك.

حجر: لولا أن لنا في لسانك مأرباً لألحقناك برجال قبيلتك يا عبيد.

عبيد: نحن وما نملك تحت قدمك أبيت اللعن.

حجر: عساك قلت شيئا حال في صدرك وخرج به لسانك.

عبيد: إذا رغبت أبيت اللعن في الإستماع إليه أفعل.

حجر: قل يا عبيد.

عبيد: وأنال عفوك وبرك أبيت اللعن؟!

حجر: تنال عفوي وبري..

عبيد: " ينشد"..

يا عين فابكي ما بني أسد فهم أهل الندامة

يغيب الصوت ثم يعود:

ومنعتهم نجداً فقــد حلوا على وجل تهامة

إما تركت تركت عفواً أو قتلت فلا ملامـة

أنت المملك فوقهــم وهم العبيد إلى القيامة

ذلوا لسواطك مثلمـا ذل الأشيقر ذو الخزامة

حجر: صدقت.. صدقت يا عبيد.. إنهم العبيد إلى يوم القيامة.

عبيد: فهلا عفوت عن عبيدك أيها الملك. ووهبت الحياة لمن بقي منهم وأمرت بعودتهم إلى ديارهم؟

حجر: سأرى في ذلك رأيي. أما أنت فلك حياتك أمنحها لك وللأقربين من أهلك.

نقلة موسيقيـة.....

الشيخ: هذه حكاية عبيد العصا يا خالد.

خالد: بقي شيء يا جدي يحيك في صدري.

الشيخ: قل يا بني..

خالد: لماذا تنسى يا جدي ذكر المصير الأسود الذي لقيه أكثر الطغاة المستبدين من رؤساء الجاهلية وملوكها؟

الشيخ: ومن قال لك أنني نسيتهم.. لكن الذين وثبوا بهم وانقضوا عليهم كانوا يدعون مثل طغيانهم.. لقد كان الأمر نزاعاً بين الأقوياء لا رأي فيه للأتباع والأولياء. بل لعل هؤلاء الأتباع كانوا يفخرون بغضب الغاضب من رؤسائهم لا يسألونه فيم غضب. فهم يقفون إلى جانبه عصبيته له.

خالد: يبقى أن تحدثني يا جدي عن اليومين اللذين نظمهما المنذر بن ماء السماء. يوم البؤس ويوم النعم.

الشيخ: اما هذا فنرجئه إلى لقاء آخر يا خالد.

خالد: حسن يا جدي. أوه.. لقد تأخرت. سأعود إليك إن شاء الله عند أول فرصة وستحدثني حديث هذا الطاغية.

الشيخ: أفعل إن شاء الله. لكن وصيتي عندك هي أن تحرص على حمل الرسالة إلى إخوانك. فربّ مبلّغ خير من شاهد يا بني..

صوت: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ..صدق الله العظيم